الصالح فبغير حساب تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة
فإن قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلت
أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ لهم عن سنة الغفلة وفيه أنهم
قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه
واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم
سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم صلى الله عليه في نصيحة
أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان
للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما
الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة تقول دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى
الطريق وهداه له به علم أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك
به ما ليس بإله وكيف يصح أن يعلم إلهاً لا جرم سياقه على مذهب البصريين أن يجعل
لا رداً لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق
ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن تعتدوا
أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان
دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل
من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله
فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبداً يستحقون النار لا انقطاع
لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب
حقاً وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بُدّ وفُعْل
وفَعَل أخوان كرُشْد ورَشَد وعُدْم وعَدَم ليس له دعوة معناه أن ما تدعونني
إليه ليس له دعوة إلى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته
ثم يدعو العباد إليها إظهاراً لدعوة ربهم وما تدعون إليه وإلى عبادته لا يدعو
هو إلى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيواناً ناطقاً لضج من دعائكم وقوله

في الدنيا والآخرة يعني أنه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئاً من دعاء وغيره
وفي الآخرة إذا أنشأه الله حيواناً تبرأ من الدعاة إليه ومن عبدته وقيل معناه ليس
له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي
لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل
المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد
السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ
فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضاً وأفوض أمري إلى الله لأنهم توعدوه فوقاه
الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل
نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم
النار بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما سوء العذاب
فقيل هو النار أو مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل
من عذابها وعرضهم عليها إحراقهم بها يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا
قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها
ويجوز أن ينتصب على الاختصاص عليها غدواً وعشياً في هذين الوقتين يعذبون بالنار
وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فإما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم
ويجوز أن يكون غدواً وعشياً عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت
الساعة قيل لهم أدخلوا يا آل فرعون أشد عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أي يقال
لخزنة جهنم أدخلوهم فإن قلت قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع
عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لأخيه جباً وقع فيه
منكباً فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم قلت يجوز أن يهم الإنسان بأن يغرق قوماً
فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقاً لأنه هم بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء ولا
يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع إنذار